الفصل الثالث

حقوق الآباء على الأبناء

مقدمة

إنّ للوالدين حقًّا عظيماً على أبنائهم، فهما من قاما بتربيتهم، ورعايتهم، والإنفاق عليهم، والأمّ هي من سهرت الليالي الطوال من أجل راحة أبنائها، ومن تعبت في تربيتهم، ومن كانت تفضّلهم حتّى على نفسها، والأمّ هي الوحيدة التي قد تنسى الدّعاء لنفسها على أن تقوم بالدّعاء لأبنائها، وأمّا الأب فهو من يعمل ليلاً ونهاراً، ويسعى بكلّ الدّروب وشتّى الطرق لتوفير حياة كريمة لأبنائه، ليستطيع أن يعيلهم، ويلبي رغباتهم ومتطلباتهم، وبالتالي كان من الواجب على الأبناء برّهم، وإعطائهم حقوقهم.

أولا: حقوق الوالدين على الأبناء:

إنّ من أهمّ حقوق الوالدين على أبنائهما، ما يلي:

(١) طاعة أوامرهما واجتناب معصيتهما:

فإنّه من الواجب على الإنسان المسلم أن يطيع والديه، وأن يقوم بتقديم طاعتهما على طاعة أيّا كان من البشر، وذلك في حال لم يأمراه بأمر فيه معصية لله ورسوله ﷺ . أما في حالة الزّوجة؛ فإنّها تقدّم طاعة زوجها على طاعة والديها.

٢- الإحسان إليهما:

وذلك عن طريق القول والفعل، وفي أوجه الإحسان المختلفة جميعها. **ومن أمثلة ذلك:**

خفض الجناح: وذلك من خلال التذلل لهما، والتّواضع أمامهما، وطمأنتهما.

الابتعاد عن زجرهما: وذلك من خلال الكلام معهما بلين، والتلطف عند مخاطبتهما، والحذر من نهرهما، أو رفع الصّوت عليهما.

٣- الإصغاء إليهما:

وذلك عن طريق مقابلتهما ببشاشة عند تحدثهما، وعدم مقاطعة حديثهما، والحذر من اتهامهما بالكذب، أو ردّ حديثهما. الفرح بأوامرهما وعدم التضجّر والتأفف في وجههما، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء:٢٣].

٤- التطلق لهما:

بمعني إطلاق الوجه بالبسمة عند لقائهما، ويتحقق ذلك من خلال مقابلتهما بالوجه البشوش والتر ّ حاب بهما، والابتعاد عن العبوس وتقطيب الجبين

والحاجبين. والتودد لهما والتحبّب إليهما: مثل البدء بالسلام عليهما، وتقبيل أيديهما ورأسيهما، والإفساح لهما في المجالس، وعدم الأكل من الطعام قبلهما، والمشي خلفهما في النّهار وأمامها في الليل، خاصّةً إذا كان الطريق مظلماً أو وعراً.

٥- الجلوس أمامهما بكلّ أدب واحترام:

وذلك من خلال الجلوس بجلسة مناسبة، والابتعاد عمّا يمكن أن يشعرهما بالإهانة بأي شكل من الأشكال، مثل مد الرّجلين، أو رفع الصوت بالقهقهة في حضرتهما، أو الاضطجاع، أو التعري، أو عمل أي شيء من المنكرات أمامهما، أو غير هذه الأمور مما ينافي كمال الأدب معهما.

٦- تجنب التمنن عليهما:

وذلك أن المنة تهدم كل صنائع المعروف، وهي كذلك من مساوئ الأخلاق، وهي تزداد قبحا عندما تكون في حقّ الوالدين.

٧- تقديم حقّ الأم:

فعلى المسلم أن يقدم بر الأم، والإحسان إليها، على بر الأب والإحسان إليه، وذلك لما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: من أَحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك**» رواه مسلم.

٨- البعد عن إزعاجهما:

سواء أكانا نائمين، أو من خلال إزعاجهما عن طريق الجلبة ورفع الصّوت، أو إخبارهما الأخبار المحزنة، أو غير ذلك من أشكال الإزعاج.

٩- تجنّب الشّجار أو إثارة الجدل أمامهما:

وذلك من خلال الحرص على حلّ المشكلات العائليّة بعيداً عن أعينهما.

١٠- تلبية ندائهما بسرعة:

سواءً أكان الإنسان مشغولاً أم غير مشغول، فإنّه من اللائق بالولد أن يجيب والديه في حال سماعه لندائهما.

١١- الاستئذان منهما، والاستنارة برأيهما:

وذلك في كلّ أمور الحياة، مثل: الذّهاب مع الأصحاب في رحلة، أو السّفر إلى خارج البلاد للدراسة ونحوها، أو الذّهاب للجهاد، أو في حال الخروج من المنزل والسّكن خارجه، فإن أعطياه الإذن وإلا فإنّه يترك هذا الأمر، وخاصّةً إذا كان رأيهما أصحّ، أو صدر عن علم أو إدراك.

١٢ - الاستئذان في حال الدّخول عليهما:

فربّما كانا في حالة لا يرغبان أن يراهما أحد عليها.

١٣ - تذكيرهما بالله دائماً:

وذلك من خلال تعليمهما كل ما يجهلانه من أمور الدين، وأمرهما بعمل المعروف، ونهيهما عن عمل المنكر، ويجب أن يراعى أن يكون ذلك بمنتهى اللطف، والإشفاق، والشفافية، والصبر عليهما في حال لم يقبلا ذلك.

١٤ - إصلاح ذات البين إذا فسدت بين الوالدين:

فإنّه يجدر بالأبناء أن يقوموا بذلك لإصلاح ذات البين إذا فسدت بين الوالدين، وأن يحرصوا على أن يقرّبوا وجهات النّظر بينهما في حال اختلفا.

١٥ - الحفاظ على سمعتهما:

وذلك من خلال الاختلاط بالصحبة الصّالحة، والابتعاد عمّا سوا ذلك، وتجنّب أماكن الشّبهات.

١٦ - عمل الأمور التي تدخل السّعادة على قلبيهما:

مثل رعاية الإخوة، أو صلة الأرحام، أو عمل الإصلاحات في المنزل، أو المبادرة بإعطائهما الهدايا، أو غير ذلك ممّا يدخل الفرح والسّرور على قلبيهما.

١٧ - فهم طبيعتهما والتعامل معهما بما يقتضيه ذلك:

ففي حال كان واحد منهما غضوباً أو فظًّا، أو كان لديه أي صفة من الصّفات التي لا يحبذ وجودها في الإنسان، كان الأجدر بالابن أن يتفهم طبيعتهما، ويتعامل معهما كما ينبغي.

١٨ - الابتعاد عن لومهما أو تقريعهما:

وذلك في حال صدر منهما أي عمل لا يرضي ابنهما، مثل تقصيرهما في التربية، أو تذكيرهما بأمور لا يحبّان سماعها.

١٩ - الإكثار من الدّعاء والاستغفار لهما في حياتهما:

وذلك لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء:٢٤]، وقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾ [نوح: ٢٨].

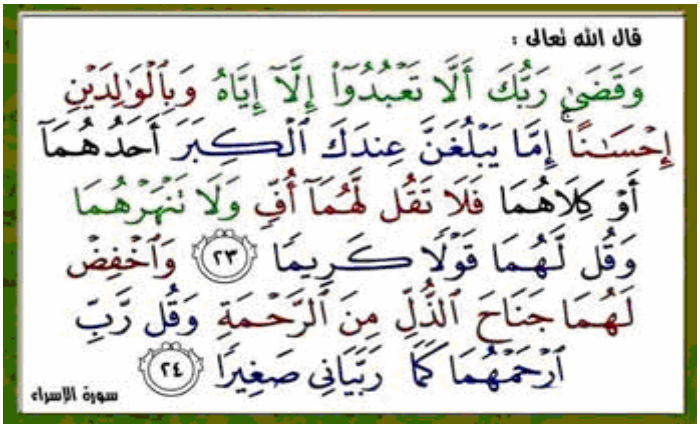

٢٠ - برهما بعد موتهما:

وهذا يدل على عظم حق الوالدين، واتساع رحمة رب العالمين، بأن يكون بر الوالدين غير منقطع حتى بعد موتهما، فإذا قصر الإنسان في أي حق من حقوق

والديه وهما على قيد الحياة، ندم على تفريطه وتضييعه لذلك بعد موتهما، وتمنى عودتهما إلى الحياة الدنيا، ليعمل لهما صالحاً غير الذي كان يعمل.

أهمية بر الوالدين:

إن لبر الوالدين أهمية كبيرةً في الإسلام، ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

أ- قرن الله سبحانه وتعالى حق الوالدين والإحسان إليهما بعبادته:

وقرن شكرهما بشكره سبحانه وتعالى؛ لأنه هو وحده الخالق، وهو الذي جعل الوالدين السّبب الظاهر لوجود الولد، وهذا دليل على شدة وتأكيد حقهما والإحسان إليهما، وذلك من خلال القول والفعل؛ لأنّهما أحبّا الولد وأحسنا إليه حال ضعفه وصغره، وبالتالي يقتضي تأكدّ الحقّ ووجوب البرّ بهما، وتحريم أدنى وأقلّ مراتب الأذى لهما، ومن ذلك التضجر، أو التأفّف من خدمتهما، أو زجرهما بصوت مرتفع، أو نفض اليد عليهما. كما أن حق الوالدين قد جاء في آيات كثيرة مقروناً بعبادة الله عز وجل، منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۖ ﴾ [الأنعام: ١٥١]

ب- بر الوالدين أفضل عند الله من الجهاد:

وهو أعلى مراتب الجهاد في سبيل الله تعالى، وذلك لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (جاء رجل إلى النّبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال: أحي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد)، وفي لفظ لمسلم: (أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله، قال: فهل من والديك أحدٌ حيٌّ؟ قال: نعم، بل كلاهما، قال: تبتغي الأجر من الله؟ قال: نعم،

قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما). وقد قال ابن حجر: أي إن كان لك أبوان فبالغ جهدك في برّهما والإحسان إليهما؛ فإنّ ذلك يقوم مقام الجهاد؛ لأنّ المراد هنا بالجهاد في الوالدين هو بذل الوسع، والطاقة، والجهد في الإحسان إليهما، ولأهميّة هذا الأمر عند العلماء فقد أقرّوا أنّه لا يجوز الخروج للجهاد إلا بعد أخذ إذن الوالدين، وذلك شريطة أن يكونا من المسلمين، والسّبب في ذلك أنّ برّهما فرض عين، بينما الجهاد فرض كفاية، فإن أمر بالجهاد وأصبح فرض عين فلا إذن حين إذن؛ لأنّ الجهاد أصبح حينها فرضاً على جميع المسلمين.

ج- بر الوالدين من الاعمال التي تقرّب إلى الجنة:

وهو من أحب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى، والتي تعد من أعظم دعائم الإسلام، وذلك لأن النّبي ﷺ خبر بذلك ورتبه بثم، والتي تمنح معنى التر تيب والمهلة. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "سألتُ رسول الله ﷺ أي العَمَلِ أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها، قال: قلت: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين، قال: قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله، حدّثني بهن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادني) رواه مسلم.

د- برّ الوالدين سبب من أسباب رضا الله عزّ وجلّ:

فقد ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النّبي ﷺ قال: (رضا الرّب في رضا الوالد، وسخط الرّب في سخط الوالد) رواه الألباني.

هـ- برّ الوالدين سبب من أسباب دخول الجنّة:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه) رواه الترمذي. وعن

معاوية بن جاهمة رضي الله عنهما، أن جاهمةَ جاء إلي النبي ﷺ ، فقالَ: (يا رسول الله، أردت أن أغزو وقد جئت أستشيركَ؟ فقال: هل لَكَ من أم؟ قال: نعَم، قال: فالزَمها، فإن الجنةَ تحتَ رِجلَيها) رواه الألباني.

و- دعوة الرسول ﷺ على من لم يبرّ والديه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (رغم أنفه، ثم رَغم أنفه، ثمّ رغم أنفه، قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر: أحدهما، أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة) رواه مسلم.

وقد قال الإمام القرطبي في ذلك: وهذا دعاء مؤكد على من قصَر في بر أبويه، ويحتمل وجهين: **أحدهما**: أن يكون معناه: صرعه الله لأنفه فأهلكه، وهذا إنما يكون في حق من لم يقم بما يجب عليه من برهما. **وثانيهما**: أن يكون معناه: أذله الله؛ لأن من ألصق أنفه -الذي هو أشرف أعضاء الوجه بالترّ اب -الذي هو موطئ الأقدام وأخس الأشياء- فقد انتهى من الذل إلى الغاية القصوى، وهذا يصلح أن يدعى به على من فرط في متأكدات المندوبات، ويصلح لمن فرط في الواجبات، وهو الظاهر، وتخصيصه عند الكبر بالذكر -وإن كان برّهما واجباً على كلّ حال- إنّما كان ذلك لشدّة حاجتهما إليه؛ ولضعفهما عن القيام بكثير من مصالحهما، فيبادر الولد اغتنام فرصة برّهما؛ لئلا تفوته بموتهما، فيندم على ذلك.

وقد بين رسول الله ﷺ بماذا يمكن أن يجزي الولد والده، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه) رواه مسلم، وعن أبي بردة أنّه شهد ابن عمر رضي الله عنهما، ورجل يمانيّاً يطوف بالبيت، حمل أمه وراء ظهره يقول: إنّي لها بعيرها المذلل إن أُذعرت ركابها لم أذعر. ثمّ قال: يا ابن عمر، أتُراني جزيتها؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة.

ز- برّ الوالدين من أقرب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى:

وذلك لحديث ابن عباس رضي الله عنهما، أنّه أتاه رجل فقال: (إني خطبت امرأة فأبت أن تنْكحني، وخطبها غيري فأحبت أن تنكحه، فغرت عليها فقتلتها، فهل لي من توبة؟ قال: أمك حية؟ قال: لا، قال: تب إلى الله عز وجل، وتقرب إليه ما استطعت. قال عطاء بن يسار: فذهبت فسألت ابن عباس: لم سألته عن حياة أمه؟ فقال: إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله تعالى من بر الوالدة) رواه الألباني.

هـ- لين الكلام مع الوالدين من أسباب دخول الجنة:

وذلك لقول ابن عمر رضي الله عنهما لرجل أصاب ذنوباً، وذكرها لابن عمر، فقال له ابن عمر: ليست هذه من الكبائر. ثمّ قال ابن عمر رضي الله عنهما عن الكبائر: (الكبائر تسع: الإشراك بالله، وقتل نسمة، والفرار من الزّحف، وقذف المحصنة، وأكل الرّبا، وأكل مال اليتيم، وإلحاد في المسجد، والذي يستسخر، وبكاء الوالدين من العقوق، قلت: أي والله، قال: أحي والدك؟ قلت: عندي أمي، قال: فوالله لو ألنت لها الكلام، وأطعمتها الطعام، لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر) رواه الألباني.

ثانيا: بر الآباء بالأبناء:

١- الحقوق:

تعرف الحقوق بأنها: " كل ما ينبغي أن يحصل عليه الأفراد ليتمكنوا من العيش بحرية وكرامة". ولا بد من الإشارة إلى أن الحقوق والواجبات وجهان لعملة واحدة، كما ويكمل أحدهما الآخر، أي أن واجبات أحد الطرفين هي حقوق الطرف الآخر، علماً أنهما يلعبان دوراً أساسياً في بناء المجتمعات وتنشئتها تنشئة

صحيحة، وفي تطور الحضارات، ورقي المدن؛ لـذلك يجـب الأخـذ بالاعتبـار أن الأسرة تعتبر لبنة هذا التطور وهذه التنشئة، مما يحتم ضرورة معرفة حقوق الأبناء على الآباء لتنشئة أسر بارّة، وذات أساس صحيح.

٢- حسن اختيار الأم:

يبأ بر الأب بابنه قبل ولادته، وذلك منذ التفكير في البحـث لاختيـار الزوجـة وفق ما أمر بها الشرع في الكتاب والسنة. فقد روي أنس رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال: " تزوجو في الحجر (أي المنبت) الصالح فإن العـرق دسـاس". كـما روي البيهقي عن ابن عبـاس رضي الله عـنهما أن رسـول الله ﷺ قـال: " النـاس معادن والعرق دساس وأدب السوء كعرق السوء). فيجب على العاقل أن يتخـير لنطفته ولا يضعها إلا في أصل أصيل، وعنصر طاهر، فإن الولد فيه عرق ينزع إلى أمه وهو تابع له في الأخلاق والطباع.

ويعتبر اختيار الأم الصالحة الحق الأوّل للأبناء، علماً أنّ الأم الصالحة هي ذات الخلق الطيّب، والأصل القويم، وهي التي تحسن إلى زوجهـا، وتحفظـه في غيابـه، وتعينه على طاعة الله، وعلى أمور دينه ودنياه، إضافة إلى أنّها الأساس لتربية الأبناء تربيةً صحيحةً ووفق شرع الله، ولتعليهم الصدق والعفة والأمانة والعزة، ولا بـد من الإشارة إلى أنّه يجب على الزوج أن يختار زوجتـه لـدينها، وحـسبها، وجمالهـا، ومالها، مع التركيز بشكل أساسي على الدين.

٣- اختيار الاسم الحسن للابن:

من الحقوق الأساسيه للولد على أبيه، اختيار الاسم الذي يدخل الـسرور عـلى الابن. فقد روي البيهقي بسنده عن بن عباس: قالوا (أي الصحابة) يارسول الله

قد علمنا حق الوالد على الولد فما حق الولد على والده، فقال رسول الله ﷺ : "حق الولد علي الوالد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه؛ أي لايسمه باسم يكرهه أو يعاير به". كما قال العلماء: أن هذا الحديث أمر للأمة بتحسين الأسماء لأن الأفعال ينبغي أن تكون مناسبة للأسماء. ومعيار الاختيار الحسن للأسماء كما روى مسلم بسنده عن بن عمر رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال: " إن أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبدالرحمن".

كما روى أبو داود والنسائى عن أبي وهبة أن الرسول ﷺ قال: "تسمو بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله تعالي عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومره؛ لأن الأنبياء سادة بني آدم وأخلاقهم شرف الأخلاق وأعمالهم أصلح الأعمال، فأسماؤهم أشرف الأسماء، فالتسمي بها شرف للمسمي.

ويجب على الآباء أن يختاروا للأبناء اسماً جميلاً وحسناً ينادون ويعرفون به؛ لأنّ الاسم يعتبر ملاصقاً لصحابه ولا فكاك له عنه، علماً أنّ الناس يوم القيامة ينادون بأسمائهم التي كانوا مسمون بها في الدنيا، ولا بد من الإشارة إلى أنّ الأسماء القبيحة تقلل شعور الأبناء بالثقة بالنفس، مما يؤثر في تفاعلهم واندماجهم مع البيئة المحيطة بهم.

٤- تأديب الولد وتعليمه للقرآن(التربية الإيمانية) :

يجب على الآباء أن يربوا أبناءهم تربيةً إيمانيةً صالحةً وقائمةً على الآداب الرفيعة، والأخلاق الحميدة، علماً أنّ هذا الأدب يشمل العلاقة مع الله، ومع رسوله، ودينه، ومجتمعه المحيط به، كما تشمل طريقة التصرف أثناء الأكل، والشرب، والنوم، واللباس، وغيرها من الآداب العام.

إضافةً إلى أنّه يجب تربيتهم على تجنّب الإساءة للآخرين، مع ضرورة الابتعاد عن الرذائل، والأخلاق السيئة كقلة المروءة، والبخل، والجبن.

كما يجب على الآباء أن يعينوا أبناءهم على الخير، وأن يحسنوا إليهم، وأن يوقّروهم، وألا يطلبوا منهم فعل ما يغضب الله، وألا يحرضوهم على قطع الرحم، أو الإساءة إلى الآخرين، وغيرها من الصفات غير الحميدة

٥- النفقة:

يحق للأبناء أن ينفق عليهم آباؤهم، كما لا يجوز للآباء التقصير عليهم إن كان بمقدورهم أن يوفروا احتياجاتهم، ويجب ألا تقف هذه الصدقة عند عمرٍ معيّن، إنما تجب عليهم النفقة وإن كانوا كباراً وغير مقتدرين على توفير ما يحتاجونه، إما لفقرٍ أو مرضٍ، أو غير ذلك. كما يجب على الآباء أن يزوجوا أبناءهم، وألا يجبروهم على من لا يريدونه، مع نصحهم وتوجيههم إلى الطريق الصحيح لاختيار الزوجة الصالحة، والمعينة لهم على نوائب الدهر.

٦- التعليم:

يجب على الآباء الاهتمام بالتعليم وأن يلقوا بالهم إلى أبنائهم، وتوجيههم إلى العلم، وإحضارهم إلى مجالسه وهم صغار، وتعظيم أمر العلم في نفوسهم، إضافةً إلى وجوب النفقة الكاملة عليهم خلال مرحلتهم التعليمية، وتوفير جميع احتياجاتهم المادية والمعنوية، كما يجب نصحهم لاختيار الأصدقاء الجيدين، والابتعاد عن أصدقاء السوء

٧- المساواة بين الأبناء:

يجب على الآباء ألا يفرّقوا بين أبنائهم، وأن يرعوهم، وأن يعدلوا بينهم، كون التفريق بينهم يؤدي إلى كره الأخوة لبعضهم، وإحداث عداوة بينهم، كما لا يجب

تفضيل الذكور على الإناث أو العكس، والميل إلى أحد الجنسين من الأبناء على الآخر.

٨- الدعاء للأبناء:

يجب على الآباء ألا يسيؤوا إلى أبنائهم، وأن يدعوا لهم بالصلاح، والتوفيق، وعدم الغضب عليهم إن أساؤوا في معاملتهم، علماً أنّ تقصير الآباء تجاه أبنائهم لا يبرر لهم أن يعقوهم، وأن يقصروا في حقوقهم عليهم.

❊ ❊ ❊